مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الميليشيات العراقية وتجنيد الشباب .. حدود الولاء والردع الإقليمي

د. رشا العزاوي

باحث أول بمركز الخليج للأبحاث

تقديم :

لم يعد التجنيد مرتبطاً حصراً بالدفاع الوطني المباشر، بل بات جزءاً من شبكات أيديولوجية وأمنية تتجاوز الدولة وتعيد توجيه الأفراد نحو صراعات إقليمية ودولية، لتتحول لسمة متكررة في بيئات الصراع المعاصرة ، وتمثّل تصاعد الدعوات إلى تطوع الشباب العراقي للدفاع عن إيران امتداداً لنمط تعبئة عابر للحدود ، اذ شهدت السنوات الماضية تكرار ظاهرة فتح أبواب التطوع للعراقيين خارج إطار القرار الرسمي للدولة، سواء عبر انتقال مقاتلين إلى جبهات سوريا ضمن منظومات "محور المقاومة" مساندين بذلك نظام الرئيس بشار الاسد ، أو من خلال حملات تعبئة غير رسمية مرتبطة بساحات اليمن دعماً للحوثيين ، فضلاً عن حالات استقطاب شبان للقتال في الحرب الروسية-الأوكرانية بدوافع مالية أو أيديولوجية ؛ هذا التكرار حوّل فكرة "التطوع الخارجي" من حالة استثنائية مرتبطة بظروف محددة إلى نمط تعبوي متكرر يوظَّف في سياقات سياسية وأمنية أوسع من الإطار الوطني.

التجنيد ما بين الفتوى والولاء

ولفهم حساسية هذا التحول، وتمييزه عن تجربة "الجهاد الكفائي" التي صدرت عام ٢٠١٤ ، عن المرجع الشيعي علي السيستاني ، بعد اجتياح تنظيم داعش لمدن عراقية

وتهديده المباشر لوحدة البلاد وأمنها الداخلي ، فقد دعت تلك الفتوى للمرجع الشيعي المواطنين إلى التطوع للدفاع عن العراق حصراً ودمج المتطوعين ضمن مؤسسات الدولة الأمنية الرسمية، ما منحها لاحقا إطاراً قانونياً في العام ٢٠١٦ ، وفق ما يعرف بهيئة الحشد الشعبي . أما التعبئة الحالية، فتختلف في طبيعتها وهدفها، إذ تستند إلى خطاب عقائدي إقليمي يعيد تعريف مفهوم الدفاع ليشمل حماية حلفاء خارج الحدود، ويجري غالباً عبر قنوات تنظيمية غير خاضعة مباشرة لقرار الدولة، الأمر الذي يجعلها امتداداً لنموذج التعبئة العابرة للحدود لا استمراراً لتجربة الدفاع الوطني التي مثلها فتوى الجهاد الكفائي.

ضمن هذا السياق الأوسع، يصبح فهم ظاهرة تعبئة الشباب العراقي تحت شعار "الدفاع عن إيران" مرهوناً بتتبع تطور الفصائل المسلحة الشيعية بعد ٢٠٠٣، خصوصاً تلك التي نشأت بعلاقة عضوية مع الحرس الثوري الإيراني مثل منظمة بدر وعصائب اهل الحق وكتائب حزب الله العراقي وحركة النجباء ، والتي تحوّلت تدريجياً من قوى محلية إلى عقد ضمن شبكة ردع إقليمية تتقاطع فيها الاعتبارات الأمنية والعقائدية. ومنظمة بدر، التي تشكّلت تاريخياً في ظل الحرب العراقية الإيرانية واحتفظت بعلاقات بنيوية مع الحرس الثوري، تقدم نموذجاً واضحاً لهذه الثنائية بين الاندماج الرسمي في مؤسسات الدولة العراقية وبين الاحتفاظ بقدرة تعبئة مستقلة خارج الإطار الحكومي الصارم، وهي الازدواجية التي تسمح بإطلاق مبادرات تعبئة تبدو في ظاهرها شعبية أو احتياطية لكنها تحمل في مضمونها وظائف استراتيجية تتجاوز حدود الدولة الوطنية وتندرج ضمن مفهوم "وحدة الجبهات".

التعبئة العابرة للحدود وتحول الفصائل الى بنية ردع إقليمية

يمثّل تصاعد دعوات الفصائل المسلحة لتجنيد متطوعين عراقيين للدفاع عن إيران نقطة تحوّل تكشف انتقال بعض هذه الفصائل من خطاب التضامن السياسي إلى

بناء منظومات تعبئة إقليمية منظمة ومؤسسية ، وفي هذا السياق، تبرز حملات التجنيد التي قامت بها حركة النجباء وكتائب حزب الله والتجمعات التطوعية في ديالى والمثنى كمؤشر على إعادة تعريف دور العراق داخل معادلات الردع العابر للحدود، وما يرافق ذلك من تحديات قانونية وسيادية معقّدة أمام الدولة العراقية.

وفي هذا الإطار، اكتسبت محافظة ديالى أهمية خاصة عندما تجمّع نحو خمسة آلاف شاب في ناحية أبي صيدا التابعة لقضاء المقدادية وأعلنوا استعدادهم التطوع ضمن الحشد الشعبي والقوات الأمنية للدفاع عن إيران في حال تعرضها لتهديد أمريكي أو إسرائيلي. هذه التحركات لا يمكن قراءتها كاستجابة عاطفية معزولة، بل تعكس نمطاً من إعادة تعريف التهديد بحيث يصبح أي تصعيد ضد إيران تهديداً مباشراً لمنظومة إقليمية موحّدة يُنظر إلى العراق كجزء منها ، كما أن اختيار ديالى، بما تحمله من تاريخ نفوذ فصائلي وبنية تنظيمية راسخة، يوحي بأن التعبئة اعتمدت على شبكات قائمة مسبقاً، ما يجعل "القوة الاحتياطية" المعلنة مخزوناً بشرياً قابلاً للتفعيل التدريجي عند الحاجة، خصوصاً في ظل الخطاب الذي يوازن بين إظهار المتطوعين كقوة احتياطية للقوات الأمنية وبين احتفاظ الفصائل بقنوات تعبئة مستقلة.

يتضح من الخطاب المستخدم حرص الفصائل على الجمع بين شرعية قانونية ظاهرية وهدف عقائدي واضح؛ فالإعلان عن المتطوعين كقوة احتياطية أو كجزء من القوات الأمنية يهدف إلى تخفيف الضغوط القانونية والدولية، بينما تكشف البنية التنظيمية والتصريحات العقائدية عن ارتباط التعبئة بمفهوم الصراع الإقليمي ووحدة الجبهات. كما أن توقيت هذه التحركات، في ظل تصاعد التوتر الأمريكي الإيراني واستمرار المواجهات غير المباشرة في ساحات مثل سوريا وغزة، يمنحها بعداً استراتيجياً يتجاوز الداخل العراقي ويجعلها جزءاً من استراتيجية الردع غير المتماثل التي تعتمدها الشبكات المرتبطة بالحرس الثوري، حيث يتم استخدام الحشد الشعبي وقواعده كأداة ضغط دون الانخراط في مواجهة تقليدية مباشرة.

من الناحية العملياتية، لا يعني الإعلان عن آلاف المتطوعين وجود قوة قتالية جاهزة فوراً، بل يشير غالباً إلى بناء احتياط تعبوي يمكن استخدامه لأغراض لوجستية أو سياسية أو عسكرية عند الحاجة. وتظهر التجارب السابقة، مثل انتقال مقاتلين عراقيين إلى سوريا عبر شبكات بشرية مرنة، أن الفصائل تعتمد على التفعيل التدريجي للموارد البشرية وليس على تعبئة جماهيرية فورية، ما يجعل الأرقام المعلنة تحمل بعداً رمزياً وردعياً بقدر ما تعكس واقعاً تنظيمياً فعلياً.

تتضح الطبيعة التراكمية لهذه التعبئة أكثر مع صدور مواقف معلنة من فصائل مسلحة، إذ لبّت حركة النجباء في يناير ٢٠٢٦ ، دعوة كتائب حزب الله وفتحت باب التطوع لتجنيد العراقيين للدفاع عن إيران عبر مكاتبها المنتشرة في عموم البلاد، وفق ما أعلنه رئيس المجلس التنفيذي للحركة ناظم السعيدي ، وقد تضمن الخطاب المعلن تأكيداً بأن أي اعتداء على الجمهورية الإسلامية أو على المرجعيات الدينية وعلى المرشد الإيراني علي خامنئي سيُواجَه برد واسع النطاق، في لغة تعبئة تعكس انتقال الخطاب من إطار التضامن السياسي إلى مستوى الاستعداد العسكري الإقليمي ، وتزامن ذلك مع خطوات تنظيمية عملية، حيث شهدت محافظة المثنى افتتاح مقرين مخصصين لاستقبال المتطوعين وتشكيل لجان خاصة للتدقيق الأمني والاجتماعي للراغبين بالتطوع، ما يشير إلى وجود بنية تنظيمية مؤسساتية تسعى إلى تحويل الخطاب التعبوي إلى آليات تنفيذية قابلة للتفعيل.

هذا التطور يربط بين إعلان ديالى والتحركات الفصائلية الأوسع، ويؤكد أن الدعوات ليست أحداثاً منفصلة بل جزء من مسار تعبوي متصاعد ، يميل الى البروباغاندا ، يسعى إلى إظهار العراق كعمق بشري للمحور الإيراني في مواجهة الولايات المتحدة ، هذه المواقف المعلنة تعزز أيضاً قراءة التحركات المحلية كرسائل متعددة الاتجاهات؛ فهي تطمئن طهران بوجود قاعدة بشرية جاهزة، وتبعث إلى واشنطن رسالة ردع غير مباشر، وفي الوقت ذاته تختبر قدرة الحكومة العراقية على ضبط الفصائل والحفاظ على سياسة التوازن والحياد.

دعوات التطوع والموقف الحكومي

تكتسب دعوات التطوع حساسية إضافية في ظل غياب موقف حكومي علني واضح أو إجراءات رسمية معلنة حيال فتح أبواب التطوع أو إنشاء مقرات استقبال المتطوعين، الأمر الذي يمكن تفسيره على أنه حالة صمت رسمي تعكس إما تعقيد المشهد الامني او السياسي ، بالتزامن مع تشكيل الحكومة العراقية، سيما وان ايران لا تزال مؤثره في اختيار رئيس الوزراء ؛ غير أن فتح أبواب التطوع دون أوامر صادرة عن القائد العام للقوات المسلحة يثير إشكاليات دستورية وإدارية، ويعطي انطباعاً بوجود مسارات أمنية موازية تتحرك فوق بنية الدولة الرسمية، خصوصاً أن اختيار مناطق نفوذ فصائلي تقليدية مثل ديالى أو افتتاح مقرات خاصة في المثنى يشير إلى محاولة إنشاء قواعد تعبئة متقدمة خارج الإطار الحكومي المباشر، وهو ما يتعارض مع المبادئ الدستورية التي تحصر قرار استخدام القوة والسياسة الدفاعية بيد الدولة ومؤسساتها الرسمية ولا تتيح تحويل الجغرافيا العراقية إلى منصة لدعم صراعات خارجية دون قرار سيادي معلن.

وعلى المدى الأبعد، تكشف هذه الظاهرة عن تحول عميق في طبيعة الأمن داخل العراق، حيث يتعايش نموذج الدولة الساعي إلى احتكار القوة مع نموذج شبكي إقليمي يرى العراق جزءاً من منظومة صراع أوسع. قدرة الفصائل المرتبطة بالحرس الثوري، وخصوصاً تلك ذات الخلفية العقائدية مثل منظمة بدر وحركة النجباء وكتائب حزب الله، على تعبئة الشباب تحت شعار الدفاع عن إيران تعني أن الحدود بين الأمن الوطني والأمن الإقليمي أصبحت أكثر ضبابية. هذا التداخل يضع الحكومة العراقية أمام معادلة معقدة بين الحفاظ على شرعية الحشد الشعبي كمؤسسة رسمية ومنع تحوله إلى منصة تعبئة لصراعات خارجية، خصوصاً أن استغلال الشباب في حملات تطوع عابرة للحدود يشبه في بعض جوانبه نماذج التجنيد غير الرسمي التي شهدتها جبهات سوريا واليمن والحرب الروسية الأوكرانية، ما يفرض على الدولة إعادة تعريف دور المؤسسات الأمنية وضبط مسارات التعبئة العقائدية.

في المحصلة، فإن تجنيد أو تعبئة الشباب العراقي للدفاع عن إيران لا يمكن فهمه كحوادث منفصلة أو مبادرات محلية معزولة، بل هو نتاج تطور طويل الأمد في بنية الفصائل المسلحة وتحولها إلى شبكات ردع إقليمية تستخدم العراق كعمق بشري وسياسي. ومع تكرار الدعوات الرسمية وافتتاح مقرات استقبال المتطوعين وإطلاق تصريحات تعبئة ذات طابع إقليمي، يتضح أن العراق يقف أمام تحدٍ مركب يتمثل في الحفاظ على سيادته ومنع انزلاق شبابه إلى صراعات خارجية، وفي الوقت ذاته إعادة ترسيخ مبدأ أن قرار الحرب والسلم يجب أن يبقى حصراً بيد الدولة ومؤسساتها الدستورية.

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center
Jeddah
(Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center
Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center
Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre
Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center
Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium

www.grc.net